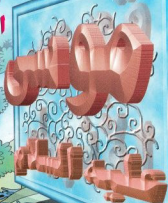


35

الجزء الثاني عشر

الجزء الثاني عشر

المبد الصالح



بقلم : ا. عبد الحميد عبد المنصور

رسوم : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى



يُقَالُ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ وَقَفَ يَوْمًا يَخْطُبُ فِي
 بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسَأَلَهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ قَائِلًا :
 - هَلْ يُوْجَدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ
 يَا مُوسَى ؟

فَقَالَ لَهُ مُوسَى ﷺ :
 - أَنَا أَعْلَمُ إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ..

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ عَتَبَ عَلَى مُوسَى
ﷺ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ..

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَوْحَى لِمُوسَى ﷺ أَنَّهُ
يُوجَدُ عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
الصَّالِحِينَ ، قَدْ آتَاهُ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ، وَعَلَّمَهُ مِنْ
لَدُنْهِ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ لِمُوسَى ﷺ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ أَعْلَمُ
مِنْهُ ..

وَقَرَّرَ مُوسَى ﷺ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ،
لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ قَائِلًا :

- يَا رَبِّ كَيْفَ أَصِلُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَكَيْفَ
أَعْرِفُهُ ۚ

فَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَى مُوسَى ﷺ أَنْ يَأْخُذَ حُوتًا
(سَمَكَةً) وَيَضَعَهُ فِي سَلَّةٍ ، وَفِي الْمَكَانِ الَّذِي تُرَدُّ
فِيهِ الْحَيَاةُ إِلَى الْحَوْتِ ، وَيَتَسَرَّبُ نَازِلًا إِلَى الْبَحْرِ
سَوْفَ يَجِدُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ ..

فأحضر موسى ﷺ سمكة وضعها في سلة ،
حملها تلميذه « يوشع بن نون » مع طعام لهما ،
وانطلق الاثنان في رحلة البحث عن العبد الصالح ..
سار موسى ﷺ وتلميذه على شاطئ البحر طويلاً ،
وقال موسى ﷺ لتلميذه :

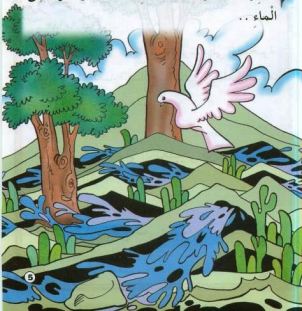
- أخبرني عندما تتردد الحياة إلى الحوت ، ويتسرب
عائداً إلى البحر ..
فقال له يوشع :

- سأخبرك عندما يحدث ذلك ..

وظل يوشع يراقب الحوت ، وموسى ﷺ ينتظر
في شغف اللحظة التي ستدب فيها الحياة في الحوت ..
وأخيراً وصلا إلى صخرة على شاطئ البحر ، وكان
التعب قد هدهما ، فجلسا يستريحان قليلاً ، قبل
مواصلة الرحلة ، فنام موسى ﷺ من التعب ، بينما
جلس يوشع يراقب الحوت ..

فجأة دبّت الحياة في الحوت ، فقفز من السلة ،

وَاتَّخَذَ طَرِيقَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَرَأَاهُ يَوْشَعُ ، لَكِنَّهُ لَمْ
يَشَأْ أَنْ يَوْقِظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..
اسْتَيْقِظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَفَرَّرَ مُوَاصِلَةَ
الرَّحْلَةَ بَحْثًا عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَنَسِيَ يَوْشَعَ أَنْ
يُخْبِرَهُ أَنَّ الْحَوْتَ قَدْ دَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ وَتَسَرَّبَ إِلَى
الْمَاءِ ..



وَبَعْدَ أَنْ سَارَا مَسَافَةً مِنَ الطَّرِيقِ ، شَعَرَ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْجُوعِ ، فَطَلَبَ مِنْ يُوْشَعَ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُمَا الطَّعَامَ ..
وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَذَكَّرَ يُوْشَعَ الْحَوْتَ ، فَأَخْبَرَ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ دَبَّتْ فِيهِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ ،
وَأَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :
- هَذَا مَا كُنَّا نُرِيدُ ..

وَعَادَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَلَمَّيْذُهُ يُوْشَعَ إِلَى الصَّخْرَةِ ،
وَهُنَاكَ وَجَدَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ ، الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِهِ وَعِلْمَهُ مِنْ لَدُنْهِ عِلْمًا ..
فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- هَلْ أَتْبَعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ عِلْمِكَ الَّذِي
عَلَّمَكَ اللَّهُ إِيَّاهُ ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ قَائِلًا :

- إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .. لَنْ تَصْبِرَ عَلَى
مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ عِلْمًا ..

فَالْحُ مُوسَى ﷺ عَلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ أَنْ يُوَافِقَ
عَلَى مُصَاحَبَتِهِ لَهُ ، وَالتَّعَلُّمِ مِنْ عِلْمِهِ ، ذَاكِرًا لَهُ بِأَنَّهُ
سَيَكُونُ صَابِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَنْ يَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا ..
فَوَافَقَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَلَى أَنْ يُصَاحِبَهُ مُوسَى ﷺ ،
وَيَسِيرَ مَعَهُ ، وَلَكِنْ بِشَرْطٍ ..

فَسَأَلَهُ مُوسَى ﷺ عَنْ هَذَا الشَّرْطِ ، فَقَالَ الْعَبْدُ
الصَّالِحُ :

- أَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ ، مَهْمًا كَانَ ، حَتَّى أَحَدِّثَكَ
عَنْهُ ، وَأَوْضَحَ لَكَ حَقِيقَةَ مَا غَابَ عَنْكَ ، وَخَفِيَ
عَلَيْكَ فَهَمَّهُ ..

فَقَالَ لَهُ مُوسَى ﷺ :

- لَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّى تُوَضِّحَهُ لِي ..

وَانْطَلَقَ مُوسَى ﷺ فِي صَحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، سَارًا
عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .. رَأَى الْعَبْدُ الصَّالِحُ سَفِينَةً تَمُرُّ
بِهِمَا ، فَأَشَارَ إِلَى أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، فَحَمَلُوهُمَا مَعَهُمْ ..
وَيَبْدُو أَنَّ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ ، كَانُوا يَعْرِفُونَ

الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، وَلِذَلِكَ رَفَضُوا أَنْ يَأْخُذُوا

مِنْهُ أَجْرًا عَنِ الرُّكُوبِ ..

سَارَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي تَقْصِدُهُ ، وَفُوجِي

مُوسَى ﷺ بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي قَاعِ السَّفِينَةِ ، يَخْلَعُ

لَوْحًا مِنَ الْوَرَّاحِهَا ، وَقَدْ بَدَأَتِ الْمِيَاهُ تَتَدَفَّقُ بِدَاخِلِهَا ،

فَتَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ مِنْ تَصَرُّفِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَأَنْكَرَ

عَلَيْهِ تَخْرِيبَ السَّفِينَةِ ، قَائِلًا :

- مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُهُ ، هَلْ خَرَقْتَ السَّفِينَةَ لِتُغْرِقَ

أَصْحَابَهَا ؟ ! لَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلًا مُنْكَرًا ..

فَيَقُولُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

- يَا مُوسَى أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ !

فَيَعْتَذِرُ مُوسَى ﷺ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ ، بِسَبَبِ مَا بَدَرَ مِنْهُ

مِنْ نَسْيَانِ الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطَهُ عَلَيْهِ .. وَيَرْجُوهُ أَلَّا

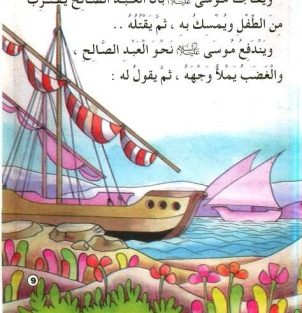
يَرْهَقَهُ أَوْ يَأْخُذَهُ عَلَى نَسْيَانِهِ ..

وَيَنْطَلِقُ مُوسَى ﷺ فِي صُحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، يَغَادِرَانِ

السَّفِينَةَ وَيَسِيرَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ..

وَيَرَى الْعَبْدَ الصَّالِحَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ يَلْعَبُونَ
مَعًا ، وَيَجْلِسَانِ لِلرَّاحَةِ قَلِيلًا .. وَبَعْدَ قَلِيلٍ يَنْصَرِفُ
الْأَطْفَالُ وَيَتْرَكُونَ طِفْلاً وَاحِداً مِنْهُمْ .. طِفْلاً يَتَسَمُّ
وَجْهَهُ بِكُلِّ بَرَاءَةِ الْأَطْفَالِ ..

وَيُفَاجِئُ مُوسَى ﷺ بِأَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَقْتَرِبُ
مِنَ الطِّفْلِ وَيُمْسِكُ بِهِ ، ثُمَّ يَقْتُلُهُ ..
وَيَنْدَفِعُ مُوسَى ﷺ نَحْوَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ،
وَالْغَضَبُ يَمْلَأُ وَجْهَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ :



— ما الذنب الذى جناه هذا الغلام حتى تقتله ؟ !

لقد قتلت نفساً حرم الله قتلها ، بدون ذنب أو جريمة .. لقد قمت بعمل منكر ..

فيعود العبد الصالح إلى تذكير موسى عليه السلام بالشرط ، الذى اشترطه عليه فى بداية مصاحبته له ، قائلاً :

— ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً ؟ !

ويعتذر موسى عليه السلام عن نسيانه للمرة الثانية ، قائلاً :

— إذا سألتك عن شيء آخر ، فلا تسمح لى بمصاحبتك مرة أخرى .. لقد استنفدت كل الأعذار ..

ويوافق العبد الصالح على مصاحبة موسى عليه السلام له .. ويمضيان فى طريقهما ، وفى هذه المرة يتوجه مع العبد الصالح إلى إحدى القرى ويدخلها .. كانا متعبين وجائعين .. فطلبنا من أهل القرية طعاماً ، ولكن أهل القرية كانوا بخلاء ، فرفضوا أن

يُضَيِّقَاهُمَا ، كَمَا رَفَضُوا أَنْ يُقَدِّمُوا لَهُمَا
كَسْرَةَ خُبْزٍ جَافٍ ، أَوْ حَتَّى جُرْعَةً مَاءٍ ، بِرَغْمِ
مَعْرِفَتِهِمَا أَنَّهُمَا غَرِيْبَانِ ..
وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فَقَدْ أَصْرَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي
الْقَرْيَةِ ..

جَلَسَ مُوسَى ﷺ وَالْعَبْدُ الصَّالِحُ بِجَوَارِ جِدَارٍ
قَدِيمٍ .. كَانَ مَنْظَرُ الْجِدَارِ يُوحِي بِأَنَّهُ آيِلٌ لِلسَّقُوطِ ،
وَأَنَّهُ سَيَنْهَارُ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ ، وَقَرَّرَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ
قَضَاءَ اللَّيْلِ بِجَوَارِهِ ..

وَفِي اللَّيْلِ فُوجِئَ مُوسَى ﷺ بِأَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ
يَقُومُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْجِدَارِ الْمَتَهَاوِي ، حَتَّى جَعَلَهُ مَتِينًا
فَتَعَجَّبَ مُوسَى ﷺ مِنْ تَصَرُّفِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ أَشَدَّ
الْعَجَبِ ، وَاسْتَنْكَرَ قِيَامَهُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْجِدَارِ ..
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

- أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ بُخَلَاءُ ، وَقَدْ طَلَبْنَا مِنْهُمْ الطَّعَامَ ،
فَرَفَضُوا أَنْ يُطْعَمُونَا .. كَيْفَ يَبْنِي لَهُمْ هَذَا الْجِدَارَ

مَجَانًا وَبِدُونِ مُقَابِلٍ .. ثُمَّ خَاطَبَ الْعَبْدُ

الصَّالِحُ قَائِلًا :

- لَوْ شِئْتُ لَا تَخَذْتُ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَجْرًا ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ قَائِلًا :

- هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .. لَقَدْ اشْتَرَطْتُ عَلَيْكَ

وَحَدَرْتُكَ مِنْ قَبْلِ ، وَأَنْتَ قَبِلْتَ ..

وَبَدَأَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ يُوَضِّحُ لِمُوسَى عليه السلام سَبَبَ

تَصَرُّفَاتِهِ فِي الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ ، وَالَّتِي اسْتَنكَرَهَا

مُوسَى بِشِدَّةٍ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّبْرَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ :

- أَمَّا السَّفِينَةُ الَّتِي خَرَقْتُهَا لِأَغْرِقَهَا فِي الْبَحْرِ ، فَقَدْ

كَانَتْ مَلِكًا لِمَسَاكِينٍ يَتَكَسَّبُونَ مِنْهَا عَيْشَهُمْ ، عَنْ

طَرِيقِ نَقْلِ النَّاسِ وَالْبَضَائِعِ بِالْأَجْرِ ، وَقَدْ كَانَتْ هِيَ

كُلُّ مَصْدَرِ دَخْلِهِمْ .. وَقَدْ كَانَ مَلِكُ الْبِلَادِ يَسْتَوْلِي

عَلَى السُّفُنِ السَّلِيمَةِ مِنْ أَصْحَابِهَا بِالْقُوَّةِ ، وَدُونَ أَنْ

يُعَوِّضَهُمْ عَنْ ثَمَنِهَا ، وَلِهَذَا أَحْدَثْتُ فِيهَا هَذَا الْعَيْبَ

الْبَسِيطَ ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِهَا الْمَلِكُ وَرَأَاهَا مُعَيَّبَةً تَرَكَهَا

لَهُمْ ، فَيَعْمَلُونَ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَتَشْغِيلِهَا

مرةً أخرى ، وهذا أهونٌ من ضياعها منهم ..

فقال موسى عليه السلام :

- والغلامُ الذي قَتَلْتَهُ ؟ !

فقال العبدُ الصالحُ :

- لقد أعلمني ربِّي أن هذا الغلامَ عندما يكبرُ

سَيَكُونُ عَاصِيًا عَاقًا لَوَالِدَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ
الصَّالِحِينَ ، وَإِذَا عَاشَ فَسَيَدْفَعُهُمَا إِلَى الطُّغْيَانِ وَالْكَفْرِ
فِي شَيْخُوخَتِهِمَا ، وَلِهَذَا قَتَلْتَهُ ، حَتَّى يَبْدِلَهُمَا اللَّهُ بِهِ
عُلَامًا أَكْثَرَ رَحْمَةً بِهِمَا وَأَشَدَّ عَطْفًا عَلَيْهِمَا ، وَأَكْثَرَ
بِرًّا بِهِمَا فِي شَيْخُوخَتِهِمَا ، وَهَذَا أَفْضَلُ لَهُمَا مِنْ
الْغُلَامِ الْعَاقِ الَّذِي قَتَلْتَهُ ، وَأَفْضَلُ لِلْغُلَامِ نَفْسِهِ ،
حَيْثُ مَاتَ عَلَى فِطْرَتِهِ ..

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- وَالْجِدَارُ الَّذِي بَنَيْتَهُ دُونَ أَجْرِ ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا ، بِسَبَبِ بُخْلِهِمْ
مَعَنَا !؟

فَقَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

- لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجِدَارَ مِلْكٌ لْغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ،
وَأَنَّ الْجِدَارَ تَحْتَهُ كَنْزٌ يَخْصُ الْغُلَامَيْنِ ، فَلَوْ تَرَكَتَهُ
بِنَهَارٍ ، لَسَرَقَ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْكَنْزَ وَحَرَمُوا



الْغُلَامَيْنِ مِنْهُ ، وَلِهَذَا بَنَيْتُ الْجِدَارَ ، لِيَحْفَظَ الْكَنْزَ
تَحْتَهُ ، حَتَّى يَكْبُرَ هَذَانِ الْغُلَامَانِ ، وَيَبْلُغَا رُشْدَهُمَا ،
فَيُصْبِحَانِ قَادِرَيْنِ عَلَى إِحْسَانِ التَّصَرُّفِ فِي أُمُورِهِمَا ،
فَيَسْتَخْرِجَانِ كَنْزَهُمَا .. وَفِي ذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ ..
رَحْمَةٌ بِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ الْمَسَاكِينِ ، وَرَحْمَةٌ بِالْأَبْيَوتِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ بِالْغُلَامَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ ، وَمَا فَعَلْتُ
ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا بِعِلْمِ اللَّهِ الَّذِي عَلَّمَنِي إِيَّاهُ ..

وهكذا غادر موسى ﷺ العبد الصالح ، عائداً إلى تلميذه
يُوشَعَ بعد أن علم أن لله عبداً اختصهم

بِعِلْمِهِ اللَّدُنِّي ، الَّذِي لَمْ يَخْتَصْ بِهِ حَتَّى
الْأَنْبِيَاء ..

وَوَاصِلَ مُوسَى ﷺ رِسَالَتَهُ حَتَّى تَوْفَاهُ اللَّهُ .

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء
الكتاب التالي
أنبياء
بني إسرائيل
بعد
موسى
(عليه السلام)
أحرص على اقتنائه